

كلمة الدكتور نبيل خليفة

جامعة البلمند

٢٠١٠/٧/٦

توزيع جوائز مؤسسة ميشال شيحا

ميشال شيحا : باني لبنان المعاصر .

معالي الدكتور ايلي سالم رئيس الجامعة

زميلاتي وزملائي في الأسرة التعليمية

الصديق الشيخ ميشال بشارة الخوري حامل التراثين :

الاستقلالي لبشارة الخوري والفكري لميشال شيحا

ابنائي الطلبة ،

سيداتي سادتي

لقد اولتني مؤسسة ميشال شيحا شرف القاء كلمة في هذه المناسبة. مناسبة توزيع الجوائز على الفائزين في مباراة " حول فكر ميشال شيحا انطلاقاً من كتابه " في السياسة الداخلية" يهمني بداية ان أوجه كلمة شكر لجامعة البلمند رئيساً واسرة تعليمية وطلبة على مشاركتهم في هذا النشاط الفكري وهي جامعة حملت منذ قيامها رسالة واضحة ونبيلة: الذهاب مباشرة، اي " ارثوذكسياً" الى الحقيقة وخدمة الحقيقة: حقيقة الله، وحقيقة الانسان، وحقيقة المجتمعات والأمم، وحقيقة لبنان، وحقائق التاريخ. وبهذا فإن فكر ميشال شيحا في غناه الروحي والثقافي والوطني لا يمكن ان يكون غريباً عنها أو بعيداً منها. كلمتي أمامكم اختصرها في اربع ملاحظات:

الملاحظة الأولى: ان ابنائي الطلبة المشاركين قدموا جهداً واضحاً في أبحاثهم وسعوا لاستكشاف فكر ميشال شيحا . وانا اعترف بوجود صعوبتين امامهم :

- صعوبة احتواء فكر ميشال شيحا من خلال كتاب واحد في سياق مؤلفاته المتعددة .
- ثم الصعوبة في القدرة على المأئفة (synthèse) بوضع مئة وسبع مقالات صحفية مركزة حول الوضعية اللبنانية وتدرج تحت جملة ابعاد: روحية و اخلاقية و فلسفية وثقافية واقتصادية وجيوسياسية .

الملاحظة الثانية: أهمية ميشال شيحا أنه مفكر رؤيوي مركزي في حياتنا المعاصرة:

- في ايمانه بلبنان : حقيقة جغرافية وتاريخية.
- في دفاعه عن القضية اللبنانية قضية الانسان والارض والحرية.
- في رهانه على فلسفة الليبرالية في زمن الايديولوجيات الشمولية والاصولية.
- في ريادته بكشف ومواجهة المشروع الصهيوني في فلسطين ولبنان والمنطقة والعالم.
- في واقعيته التاريخية بما يعني وعيه العميق للواقع المجتمعي اللبناني، كبلد للاقلية المشاركة وتحليله ودراسة علاقاته البينية (بين الاقلية والطوائف) وعلاقاته بمحيطه وتأكيد احترام خصوصياته واستشراف مستقبله.
- في اعتباره ان اصلح رجل أو جماعة تحكم لبنان هو أو هم القادرون على حفظ السلام فيه. واشرف مقاومة فيه هي المقاومة دفاعاً عن الحرية.
- وان لبنان هو بلد لا يحكم بالقوة والعنف بل بالاعتدال والتوازن والحوار.

الملاحظة الثالثة: تتناول لبنان ميشال شيحا، الذي هو ناتج تداخل الجبل والبحر الذي منح لبنان الخطوط

الاساسية لخصوصيته. فهما من منظور جيوسياسي القطبان اللذان دارت حولهما، منفردين ومجتمعين ، وتحددت عبرهما تركيبة لبنان المعقدة والمتعددة وفيها: الحركية ، بناء اللغة الجامعة عبر الابجدية، الهضم السريع للغات الاجنبية، التجارة والسفر. هذه هي حصة البحر. أما مساهمة الجبل ففي كونه الملجأ وخط الدفاع عن الاقلية ضد الاضطهاد والتمسك بالذات والخصوصيات.

الملاحظة الرابعة: حول نظرة ميشال شيحا الى الطوائفية . ومن الضروري والمهم جلاء نظرتة الرؤيوية حول

هذه الاشكالية وعنده:

١- الطوائفية ، التي هي انعكاس لواقع الاقلية ، هي واقع اجتماعي يمتد على اكثر من الف وستمائة سنة من التاريخ.

٢- لبنان بفضل موقعه الجغرافي شكل حصناً وملاذاً وملجأ لهذه الطوائف/ الاقلية.

٣- من هنا الارتباط العضوي بين معنى لبنان كرمز لحرية وذاتية هذه الطوائف ومن هنا أهمية لبنان: الكيان و الدولة و النظام بالنسبة لها.

٤- إن الطائفية كأيديولوجية هي استغلال للوضع الطائفية لتحقيق مكاسب شخصية او فئوية وهي ظاهرة اجتماعية كلية لا تتناول السياسة فقط (الطائفية السياسية) بل الثقافة و التربية و الصحة خصوصا الاحوال الشخصية. وهي في هذا الجانب الأخير تخضع لأحكام الكتب المقدسة التي يستحيل تغييرها ... إلا بإلغاء الدين لإلغاء الطائفية.

عقبرية ميشال شيحا في مقارنة الطائفية والتي اشار اليها علماء كبار وعلى رأسهم الالمانى توماس شيفلر انه أخرج الموضوع من ان يكون خياراً غير ممكن بين لاهوتيين متقابلين وثابتين . فجعل المعالجة العلمية لمشكلة الطائفية على مستويين:

الأول: احترام الاختلاف بين الطوائف بما يخص الاحوال الشخصية لإرتباطها باعتبارات دينية لا يمكن المس بها.

الثاني: ضرورة الالتزام بما يجمع بين الطوائف انطلاقاً من خيارين لاهوتيين ملزمين يمكن بفضلهما تجاوز الطائفية وهما :

- لاهوت الارض: اي وحدة اللبنانيين في الارض اللبنانية الواحدة

- لاهوت المصير: اي وحدة اللبنانيين في المصير والكيان الواحد هو مصير الحرية.

ولذا قيل عنه أنه اول مفكر في هذه المنطقة من العالم يطرح الحل لمشكلة التعدد الديني/ الطوائفي ليس على قاعدة حوار المعابد التي تبقى، بالرغم من كل النوايا الحسنة اماكن انزواء وانطواء، بل على قاعدة لاهوت الارض، لاهوت المكان الحاوي والحاضن للجميع من دون انزواء أو انطواء او فئوية !

أيها الأخوة الاحباء.

يهمني في الخلاصة ان أجدد شكري للجامعة

ان أهنيئ كل الطلبة: متفوقين ومشاركين ومدعويين للمشاركة في المستقبل ،

وأن ادعوهم وادعو كل اجيالنا الشابة ، وسياسيينا الى قراءة ميشال شيحا دوماً إذا كانوا يودون فعلاً فهم وضعيتهم وتاريخهم ومستقبلهم وما يحدث في بلادهم ومنطقتهم والعالم. بدليل ان ما يحدث اليوم في بلادنا وكل المنطقة هو في حقيقته انتفاضة اقلية تسعى لارساء نظام جديد بين الخليج والمتوسط على انقاض النظام

الاکثروي التاريخي للأکثرية العربية السنية مستخدمة القضية الفلسطينية كرافعة تاريخية لها، ولبنان كدولة اقلية واقع في قلب هذا الصراع.

أخيراً علينا ان لا ننسى أبداً ، ان ميشال شبحا ، كما قدّمته وعرفت عنه في مطلع كتابي الأخير " جيوبوليتيك لبنان : الاستراتيجية اللبنانية" كان وسيبقى " باني لبنان المعاصر"

وففكم الله

د. نبيل خليفة

٢٠١٠/٧/٦